

نوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس ١٧ : الصحابي أسماء بن زيد

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١-١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أ. جمال: أستاذ راتب، من هو محور لقائنا في هذا اليوم؟ من هو الصحابي الجليل الذي سنكون اليوم في صدد الحديث عنه؟

أ. راتب: سأجيبكم عن هذا السؤال بعد قليل، نحن الآن في السنة السابعة قبل الهجرة في مكة، ورسول الله صلوات الله وسلامه عليه يكابد من أذى قريش له ولأصحابه ما يكابد، ويحمل من هموم الدعوة وأعبائها ما أحال حياته إلى سلسلة متواصلة من الأحزان والنوايب، وفيما هو كذلك أشرفت في حياته بارقة سرور، فلقد جاءه البشير يبشره أن أم أيمن وضع غلاماً، فأضاعت أساريره عليه الصلاة والسلام بالفرحة، وأشرق وجهه الكريم بالبهجة، فمن يكون هذا الغلام السعيد الذي أدخل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم كل هذا السرور؟ إنه أسماء بن زيد، محور هذا اللقاء.

أ. جمال: إذاً نحن الآن في صدد الحديث عن صحابي جليل اسمه أسماء بن زيد.

أ. راتب: لم يستغرب أحد من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بهجته بالمولود الجديد، وذلك لموضع أبيه منه، ومنزلتها عندـه، فأم الغلام هي بركة الحبشيـة المـُكـنـاة بأـمـيـنـ، وقد كانت مملوـكة لـآمـنةـ بـنـتـ وـهـبـ أـمـ رسولـهـ صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، فـرـبـتـهـ فـيـ حـيـاتـهـ، وـحـضـنـتـهـ بـعـدـ وـفـاتـهـ، فـفـتـحـ عـيـنـيـهـ عـلـىـ الدـنـيـاـ وـهـوـ لـاـ يـعـرـفـ لـنـفـسـهـ أـمـاـ غـيرـهـ، فـأـحـبـهـ أـعـقـمـ الـحـبـ وـأـصـدـقـهـ، وـكـثـرـاـ مـاـ كـانـ يـقـولـ: هـيـ أـمـيـ بـعـدـ أـمـيـ وـبـقـيـةـ أـهـلـ بـيـتـيـ، هـذـهـ أـمـ الـغـلامـ الـمحـظـوظـ، أـمـاـ أـبـوهـ فـهـوـ حـبـ رـسـولـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ زـيـدـ بـنـ حـارـثـةـ، وـابـنـهـ بـالـتـبـنـيـ قـبـلـ الإـسـلـامـ، وـصـاحـبـهـ وـمـوـضـعـ سـرـهـ، وـأـحـدـ أـهـلـهـ وـأـحـبـ النـاسـ إـلـيـهـ بـعـدـ الإـسـلـامـ، هـذـاـ أـبـوهـ وـهـذـهـ أـمـهـ، وـقـدـ فـرـحـ الـمـسـلـمـونـ بـمـولـدـ سـرـهـ، وـأـحـدـ أـهـلـهـ وـأـحـبـ النـاسـ إـلـيـهـ بـعـدـ الإـسـلـامـ، هـذـاـ أـبـوهـ وـهـذـهـ أـمـهـ، وـقـدـ فـرـحـ الـمـسـلـمـونـ بـمـولـدـ أـسـمـاءـ بـنـ زـيـدـ كـمـاـ لـمـ يـفـرـحـوـ بـمـولـودـ سـوـاهـ، ذـلـكـ لـأـنـ كـلـ مـاـ يـفـرـحـ النـبـيـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ يـفـرـحـهـمـ، وـكـلـ مـاـ يـدـخـلـ السـرـورـ عـلـىـ قـلـبـهـ يـسـرـهـمـ، فـأـطـلـقـوـاـ عـلـىـ الـغـلامـ الـمحـظـوظـ لـقـبـ الـحـبـ اـبـنـ الـحـبـ.

أ. جمال: أستاذ راتب النابلسي ما معنى كلمة الحب؟

أ. راتب: الحب هو المحبوب، أي هو محبوب رسول الله، وأبوه محبوب رسول الله، ولم يكن المسلمين مبالغين حينما أطلقوا هذا اللقب على الصبي الصغير أسماء، فقد أحبه النبي صلوات الله وسلامه عليه حباً تعبره عليه الدنيا كلها، فقد كان أسماء مقارباً في السن لسبطه الحسن بن فاطمة الزهراء، وكان الحسن أبيض أزهر رائع الحسن شديد الشبه بجده رسول الله، وكان أسماء أسود البشرة، أفطس الأنف شديد الشبه بأمه الحبشيـةـ.

أ. جمال: أستاذ راتب قلتم كلمة سبط، ما معنى كلمة سبط ؟

أ. راتب: ابن الإبن، أي ابن الأولاد، أي نجل، لكن النبي صلوات الله وسلامه عليه ما كان يفرق بينهما في الحب، فكان يأخذ أسامة فيضعه على إحدى ركبتيه، ويأخذ الحسن فيضعه على ركبته الأخرى، ثم يضمها معاً إلى صدره ويقول: اللهم إني أحبهما فأحبهما. وقد بلغ من حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسامة أنه عثر ذات مرة بعتبة الباب، فشجّت جبهته وسال الدم من جرحه، فأشار النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضوان الله عليها أن تزيل الدم عن جرحه، فلم تطب نفسها لذلك، فقام إليه النبي عليه الصلاة والسلام، وجعل يضم جراحه ويطيب خاطره بكلماتٍ تقipض عذوبةً وحناناً، وكما أحب النبي عليه الصلاة والسلام أسامة في صغره فقد أحبه في شبابه، فلقد أهدى حكيم بن حرام أحد ثراة قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقةً ثمينةً شرّاها من اليمن بخمسين ديناراً ذهباً كانت لذي يزن أحد ملوكهم، فأبى النبي الكريم أن يقبل هديته لأنّه كان يومئذ مشركاً، وأخذها منه بالثمن، ولقد لبّثها النبي الكريم مرتاً واحدة في يوم الجمعة، ثم خلّعها على أسامة بن زيد، فكان يروح بها ويغدو بين أترابه من شبان المهاجرين والأنصار.

أ. جمال: أستاذ راتب السؤال الذي يخطر إلى البال الآن، هؤلاء الذين يتحدثون عن حقوق الإنسان، ليتهم يروا كيف عامل النبي عليه الصلاة والسلام هؤلاء المملوكيين وكأنّهم أقرب الناس إليهم ؟

أ. راتب: هذه رحمته صلى الله عليه وسلم وهذا من كماله وقد وصفه الله عزّ وجلّ فقال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤)

(سورة القلم)

ولما بلّغ أسامة بن زيد أشدّه بدّى عليه من كريم الشمائل وجليل الخصائص ما يجعله جديراً بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان ذكياً حاد الذكاء، شجاعاً خارق الشجاعة، حكيمًا يضع الأمور في مواضعها، عفيفاً يأنف عن الدنيا، ألفاً ملوفاً يحبه الناس، تقيراً ورعاً يحبه الله.

أ. جمال: أستاذ راتب هل لنا أن نتحدث عن صورة من صور الشجاعة والبطولة عند أسامة بن زيد لنطلع الإخوة المستمعين عن المزيد من حياة هذا الصحابي الجليل.

أ. راتب: نعم، في يوم أحد جاء أسامة بن زيد مع نفرٍ من صبيان الصحابة رضوان الله عليهم، ي يريدون للجهاد في سبيل الله، فأخذ النبي الكريم منهم من أخذ ورد منهم من رد لصغر أعمارهم، البطولة كانت تسري في دمائهم، فكان في جملة المردودين أسامة بن زيد، فتولى وعيناه الصغيرتان تقipسان من الدمع حزناً لا يجاهد تحت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي غزوة الخندق جاء أسامة بن زيد أيضاً ومعه نفرٌ من فتيان الصحابة، وجعل يشد قامته إلى أعلى ليحيّزه النبي الكريم، فرق له النبي عليه الصلاة والسلام وأجازه فحمل السيف جهاداً في سبيل الله وهو ابن خمس عشرة سنة.

أ. جمال: أيضاً أستاذ راتب معلوماتنا عن هذا الصحابي الجليل له موقف في يوم حنين، يا ليت أن نتكلم عنه؟

أ. راتب: وفي يوم حنين حينما إنهاز المسلمين ثبت أسامة بن زيد مع العباس عم رسول الله وأبي سفيان ابن عمه وستة نفر آخرين من كرام الصحابة، فاستطاع النبي الكريم بهذه الفتنة الصغيرة المؤمنة الباسلة أن يحول هزيمة أصحابه إلى نصر، وأن يحمي المسلمين الفارين من أن يفتاك بهم المشركون، وفي يوم مؤته جاحد أسامة تحت لواء أبيه زيد بن حارثة، وسنه دون الثامنة عشر، فرأى بعينيه مصرع أبيه، فلم يهمن ولم يتضعضع وإنما ظل يقاتل تحت لواء جعفر بن أبي طالب حتى صرّع على مرأى منه ومشهد، ثم تحت لواء عبد الله بن رواحة، حتى لحق بصحابيه، ثم تحت لواء خالد بن الوليد، الذي استنقذ الجيش الصغير من براثن الروم، ثم عاد أسامة إلى المدينة محتسباً أباه عند الله، تاركاً جسده الطاهر على تخوم الشام راكباً جواده الذي استشهد عليه، وفي السنة الحادية عشر للهجرة أمر النبي الكريم بتجهيز جيش لغزو الروم، وجعل فيه أبا بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص وأبا عبيدة بن الجراح وغيرهم من جلة الصحابة وأمر على الجيش أسامة بن زيد، شيء لا يصدق وهو لم يجاوز العشرين بعده، شاب في العشرين تحت إمرته أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح، وأمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء وقلعة الداروم القريبة من غزة من بلاد الروم، وفيما كان الجيش يتجهز مرض النبي الكريم، ولما اشتد عليه المرض توقف الجيش عن المسير انتظاراً لما تسفر عنه حالة النبي عليه الصلاة والسلام.

أ. جمال: أستاذ راتب النابلسي، هل يصدق الإنسان أن يكون أسامة بن زيد في هذه المكانة عند النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام؟

أ. راتب: أولاً هذا يؤكد رحمة النبي ووفاته، ويؤكد بطولته وتفوقه معاً، قال أسامة: ولما نقل على النبي الله المرض أقبلت عليه وأقبل الناس معي، فدخلت عليه فوجدته قد صمت فما يتكلّم من وطأة الداء، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها على، فعرفت أنه يدعوا لي، ثم ما لبث النبي أن فارق الحياة، وتمت البيعة لأبي بكر فأمر بإنفاذ بعث أسامة.

الآن.. لكن فئة من الأنصار رأت أن يؤخر البعث، إرسال هذا الجيش، وطلبت من عمر بن الخطاب أن يكلّم في ذلك أبا بكر وقالت له: فإن أبا إلا المصي فأبلغه عنا أن يولي أمرنا رجلاً أقدم سنًا من أسامة، وما إن سمع الصديق من عمر رسالة الأنصار حتى وثب لها وكان جالساً، وأخذ بلحية الفاروق، وقال مغضباً: ثكناك أمك وعدمناك يا ابن الخطاب، يستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني أن أنزعه، والله لا يكون ذلك، ولما رجع عمر إلى الناس سأله عما صنع فقال: أمضوا ثكلتكم أمها لكم فقد لقيت ما لقيت في سبيلكم من خليفة رسول الله، نقل إلى الصديق رأي الأنصار، فوقف هذا الموقف الشجاع، فخضع الأنصار لهذا التوجيه، مضى أسامة بن جيش وأنفذ كلّ ما أمره به النبي الكريم، فأوطأ خيل المسلمين تخوم البلقاء وقلعة الداروم من أرض

فلسطين، ونزع هيبة الروم من قلوب المسلمين، ومهد الطريق أمامهم لفتح ديار الشام ومصر والشمال الإفريقي كله حتى بحر الظلمات، ثم عاد أسامه ممتلياً صهوة الجواد الذي استشهد عليه أبوه، حاماً من الغائم ما زاد عن تقدير المقدرين حتى قيل: إنه ما رأي جيشُ أسلم وأغنى من جيش أسامه بن زيد، هذا أسامه بن زيد.

أ. جمال: نقول رحم الله هذه النفوس الكبيرة، فما عرف التاريخ أعظم ولا أكمل ولا أنبأ من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام، أهلاً ومرحباً بفضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية جامعة دمشق، وخطيب جامع النابلسي في دمشق، والمدرس الديني في مساجد دمشق أيضاً، نشكركم.

والحمد لله رب العالمين